اشكالية تعريب التعليم العالي

أ.د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث أن نتعرّف مسألة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، وأن نتبين التعريب مفهوماً وأهدافاً واشكالاً، موضحين حجج المؤيدين له والمعارضين والمتريثين، ومشيرين إلى مستلزمات التعريب حتى يحقق الأهداف المرسومة له.

أولاً - التعريب مفهوماً وأهدافاً:

التعريب لغة مصدر للفعل عرّب، وعرّب بمعنى أبان وأفصح، وعرّب عن الرجل إذا تكلّم بحجته، وعرّب منطقه إذا هذّبه من اللحن، ويقال: عرّبت له الكلام تعريباً إذا بينته له، وعرّبه: أي علّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها[1].

ولقد تدرج لفظ "عرّب" بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية.

والتعريب اصطلاحاً ايجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة.

ويقصد بالتعريب حالياً استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم، واستخدامها في التعليم بجميع مراحله والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاته واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة[2].

ومنهم من يوسّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهوماً جوانب فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول

طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول اعداد المترجمين وتدريبهم...إلخ، وفي هذا الإطار تكون قضيةُ التعريب قضيةَ علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية.

وقد يعني التعريبُ دعم الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي.

وقد يعني التعريبُ تعريبَ لغة الادارة الرسمية بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعني تعريبَ لغة التعليم والمجتمع معاً في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثاً.

والتعريب من جهة أخرى قد يعني كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسج حياته مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي انتاجاً وعلاقات، أخذاً وعطاءً، تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها.

والتعريبُ في المستوى المباشر يعني سيادةَ اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها مما يجعله عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري.

والتعريب في معناه الأكثر شمولاً يعطي للوحدة العربية مضمونها الحضاري المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعات الاقتصادية والتقانية "التكنولوجية" والثقافية[3].

ومن هنا يكون للتعريب هدفان:

أولهما: خلق شخصية ابداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على انتاج العلم وصناعة التقانة "التكنولوجيا"، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ماهو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي.

وثانيهما: هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزة عقبات التخلف بضمّ قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنبات علمها عربياً، وتوحيد استراتيجياتها تنموياً، وأن تضع تقانة "تكنولوجيا" عربية، والسبيل إلى ذلك هو الانسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلم ويعلّم ويبحث بها، حتى يكون ذلك اغناء للثقافة العربية بين المتخصصين والمتعلمين وجماهير الشعب بما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعور بالحاجة إليه والاسهام في تطويره[4].

ونخلص إلى القول إن التعريب لايعني تمجيد الماضي، بل هو تأكيد للهوية، وتطلع إلى المستقبل في انطلاقة ابداعية جديدة تتفاعل مع الواقع وتفعل فيه، وتواكب التطوّر الفكري والعلمي، وتعمل على المشاركة في صياغة المستقبل الانساني في أبعاده العلمية والتقانية من خلال القيم الروحية والانسانية التي كانت الأساس الراسخ لحضارتنا ونظرتنا إلى العالم[5].

كما أن التعريب لايمكن أن يعني الانغلاق ونحن في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات وتنوع الوسائل، إذ إن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر الحضارة العربية الاسلامية.

ثانياً - أين تقع الاشكالية؟

غني عن البيان أن لكل أمة لغة تعبر عن هويتها القومية وشخصيتها الحضارية، وأن لغتنا العربية رمز لكياننا القومي وعنوان لشخصيتنا العربية، وهي لغة قرآننا الكريم وحضارتنا العريقة الضاربة الجذور في الأعماق، وهي مستودع تراثنا الفكري وموحدة المنهجية الفكرية

بين أبناء الأمة ماضياً وحاضراً وتوجهاً نحو المستقبل. بها نتفاهم، ونعبر عن حاجاتنا وتطلعاتنا، وبها نفكر، وقد وحدت بين العرب في مواضي الحقب بوساطة القرآن الكريم، إذ لولا ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آية لنبوته وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمته لكان العرب بدداً.

ومادامت اللغة العربية هويةَ المجتمع العربي رافقته منذ طفولته وعبّرت عن مسيرته في قوته وضعفه، في توثبه وانحساره، في حضارته وتخلفه كان الحفاظ على هذه الهوية واجباً مقدساً، وكان الحرص على تبنيها والاعتزاز بها أمراً لازباً بكل المعايير والمقاييس دينية كانت أو قومية أو وطنية، وأن الاشكالية تقع في اهمال هذه اللغة واعتماد لغة أخرى مكانها في التدريس الجامعي، ولاتتجلى الاشكالية في التعريب لأنه الطريق الطبيعي والأمر البديهي وانما في عدم استخدام العربية أداة للتواصل بين أبناء الأمة في معاهدهم وجامعاتهم، فقد "ابتُلينا ـ كما يقول كمال يوسف الحاج في كتابه في "فلسفة اللغة" ـ باهمالنا للعربية، بغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، أسمعنا هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة التكابر حيال لساننا، وبعقدة التصاغر حيال لسانهم، والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لاننتخي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية"[6].

ويتابع قائلاً: "لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن ارادتنا الواحدة. وليس في العالم شعب يريد ادخال عفاف على عفافه، ان كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الارادة، تقدم لغتها على لغة سواها، ولاتتناول أشياء الأخرى إلا من بعد أشيائها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية"[7].

فاللغة رمز للكيان القومي وأمارة على شخصية الأمّة وذاتيتها الثقافية، و "على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته، على عملية تنمية الذاتية الثقافية التي تمثل الخصوصية الحضارية للمجتمع والتي هي مناط سائر أنواع التنميات الأخرى، والتي هي بصفة خاصة سبيل الأمّة في العطاء الحضاري للمجتمعات الأخرى، واسلوب التبادل الخلاق

مع الآخرين ويتمثل ذلك في الذاتية الثقافية، في خصائص المجتمع الأساسية وفي تراثها الحضاري وفي مقدّمتها اللغة القومية التي ليست شكلاً ولا رمزاً، ولكنها مضمون وطريقة تفكير ومستودع حضارة"[8].

وثمة من يرى أن لمشكلة التعريب وجهين أولهما كون لسان أجنبي يحلّ محلّ اللسان الأصلي، وثانيهما كون هذا اللسان الأصلي منقطعاً عن اللغات بسبب جمود المجتمع[9].

إنهما وجهان لعملة واحدة، ويبدو من السهولة أن يخفي الأوّل الثاني، ولكن لايمكن سبر عمق مشكلة التعريب إذا لم نميّز بينهما نظرياً على الأقلّ، فالوجه الأوّل ظاهرة اجتماعية تنشأ عن القهر والاحتلال الأجنبي بحيث يصبح اللسانُ الدخيلُ عنوانَ التقدّم والعلم والأناقة، ويصبح اللسانُ الأصلي سمة كل ماهو بلدي متخلف، فنرى الموظف يخاطب الزبون بلسان أجنبي ليظهر نفوذه، والأمّ تخاطب ابنها باللسان نفسه للاعلان عن انتمائها إلى طبقة راقية، والطالب يقحم الكلمات الأجنبية ليثبت ثقافته العصرية إلى آخر ما هنالك من المظاهر المؤسفة المضحكة التي نلاحظها اليوم في المغرب العربي وفي بعض الأوساط المشرقية على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي.

ومن هنا كان للدعوة إلى التعريب في هذا المجال مغزى سياسي واضح، إنها دعوة إلى الوحدة الوطنية ومحاولة لايقاف تيار خطر يقسم المجتمع إلى تقسيم لغوي وثقافي، فالتناقض الذي كان موجوداً أيام الاستعمار بين الجالية الأجنبية والشعب المستعمر يتحوّل إلى تناقض بين النخبة الحاكمة ذات النفوذ الاقتصادي وباقي الطبقات المحرومة، وفي هذا الوضع ما فيه من تبعية اقتصادية وسياسية للمجتمعات المتقدّمة.

والوجه الثاني للمشكلة يربطه بالمستوى الحضاري، إذ إن اللسان القومي يزدهر أو يضمحل بحسب تجدد اللغات الاصطلاحية وتعدد الرموز العلمية.

ويشخص العروي مشكلة التعريب حالياً في الوطن العربي من خلال ردّه على التساؤل: ولماذا لانرضى بما يؤول إليه التطوّر تلقائيا أي الازدواجية اللغوية؟ لماذا لانرحب بحالة مثل حالة الهند التي أحرزت درجة لابأس بها من العلم والتقانة "التكنولوجيا"؟ هل هناك مصلحة

حقيقية في طرح قضية التعريب سوى تعلق عاطفي بالتراث وسوى مصلحة فئة قليلة من الفقهاء والأدباء والنحاة الذين لايتقنون شيئاً غير اللسان القديم؟

فيقول: "إن الاعتراض يبدو وجيهاً، ويدفع المرء إلى كثير من التساؤل، لكن لدى الفحص يتبين أنه مبني على مغالطة، على افتراض شيء لاوجود له في الواقع، يكون الاعتراض مقبولاً لو كان يتنافس بالفعل مشروع التعريب في الوطن العربي ومشروع مضاد يستهدف تطوّراً ثقافياً بلسان متطوّر غير عربي. في الهند منذ ثلاثين سنة توجد سياسة تثقيفية مبنية على استيعاب اللسان الانجليزي ونشره، والكلام عن أحياء اللسان الهندوستاني يعدّ من قبيل الدعاية السياسية. أما في الوطن العربي فاننا لانجد سوى الاهمال، وترك الأمور تتطوّر كما كتب لها، ليس هناك قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد. ولما كان اهمال الأمور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والأمية، فكل قرار يستهدف التقدم والتطوّر يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد هو سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي. ولما كان مشكل التعريب قائماً حتى الآن فهذا دليل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي. ويكتسي الأمر صفة مشكلة حادة عندما تحدث ظروف تمنع من اتخاذ القرارات لتحقيق الاصلاحات اللازمة ومنها انعدام الحكم القومي، ولن يتمّ أي اصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على المجموعة القومية.

أما السلطات الخاضعة لمنطق الاقليمية فإنها لن تجرؤ على تبني الاصلاح لأنها تعتمد الازدواجية سياسة، تحافظ على اللسان القديم لتكسب قدرا من الشرعية، وتفتح المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدرٍ من التحديث، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي.

ومن هنا لابد للعرب من أن يفكروا بكيفية حديثة مع أنفسهم وبلسانهم لامع غيرهم فقط وبلسان الغير[10].

تلك هي مشكلة التعريب في التعليم العالي في الوطن العربي: عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في التدريس الجامعي، وبقاء الأمور معلقة واستمرار للتخلف والتبعية،

والأمية، وعدم استنبات العلم عربياً، وتسيب لغوي قومي وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه الثقافة القومية وتراثها الحضاري.

ثالثاً ـ التعريب بين التأييد والمعارضة والتريث:

أ ـ المؤيدون:

يرى مؤيدو التعريب أن التدريس باللغة القومية يهدف إلى تحقيق مايلي:

1 ـ تقوية تماسك الوحدة الوطنية وتنمية الشعور القومي وتقوية الروابط الثقافية بين أبناء الأمة: ذلك أن الحديث عن اللغة والعمل من أجل بقائها كان ميدانا من الميادين التي صارع فيها العرب أعداءهم، فلقد كانت الهجمات الاستعمارية منذ بداياتها حريصة على أن تصيب هذا الوجود العربي في نقطة القلب منه: الدين واللغة. ولم تكن الحملات التبشيرية التي رافقت أو مهدت أو جاءت من بعد هذه الهجمات الاستعمارية الا تمكينا لذلك على نحو من الانحاء. ومن هنا كانت قضية اللغة والتعريب في كثير من أشكالها ومظاهرها ردّا على الحملات التي استهدفت الوجود العربي لا في صورته المادية: الأرض، ولا في صورته الدولية الاستقلال فحسب بل في وجوده الذاتي بالدرجة الأولى، أعني في أخص خصائصه وفي أبرز عناصر الأصالة فيه. هل يمكننا أن ننسى حملة التتريك وإبعاد اللغة العربية عن أن تحتل مكانتها في الحياة؟

ان الأحداث التي ألمت بالوطن العربي في مشرقه ومغربه بعد الحرب الأولى جعلت جناحي هذه الأمّة في وضع مماثل: سلطان أجنبي قاهر لايريد الأرض وحدها، ولايريد المواد الأولية وحدها، ولكنه يريد أن يحول بين هذا الشعب في هذين الجناحين وبين وظيفته الحضارية. يريد أن يردّ هذه الأمّة عن أن تعي ذاتها، وهو يتخذ إلى طمس هذه الذات وتذويبها كل الوسائل منفردة ومجتمعة، الاستعمار الاستيطاني والاستعمار الفكري والاستعمار اللغوي والاستعمار الديني.... إلخ.

مكتبة مجمع اللغة العربية دمشق

وفي الواقع وجدت البلاد العربية نفسها من شواطىء الدار البيضاء إلى شواطىء الخليج أنها هدف لقوى مفترسة، وأنها تعاني أوضاعاً متشابهة، وأن طريقها لتجاوز هذا الطغيان طريق واحد هو طريق الحفاظ على عناصر الأصالة الذاتية، وهي ذاتها عناصر الوحدة.

وكان من تقدير الله للشعب العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية وحولها وقبلها أنه تخلص في كثير من أقطاره من التبعية السياسية الصريحة بشكل أو بآخر، ولكنه ظلّ مستهدفاً للتبعية الثقافية، وظلّ الحكم الغربي في السطوة الفكرية يملأ قلوب المستعمرين الأوروبيين كما يملأ عقولهم ويوجههم في مجالات اللقاء كافة.

وظلّت اللغة العربية مادة تفجير وتفجر: الغرب المستعمر يريد تفجيرها بطرائق لاتحصى من مثل: إحياء اللغات الميتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، ورمي اللغة العربية بكل نقيصة واتهامها بكل صعوبة، وفرض اللغة الأجنبية ونشر المؤسسات التعليمية التبشيرية، ويؤيده في ذلك التقدّم الحضاري للدول الغربية وضعف الحكومات العربية واستخذاء بعض عناصرها. وكانت الأمّة العربية الاسلامية تحاول أن ترد ذلك في هذه الميادين، وأن تحيل هذا التفجير الخارجي الذي يريد الابادة إلى تفجر داخلي في ذات اللغة ينفي عنها ماعلق بها من مظاهر الضعف، ويحاول أن يردها حية على الألسنة والأقلام، ويريد لها أن تكون كما كانت بالأمس لغة حضارة، لغة علم ولغة أدب على السواء، ويصدّ عنها كل ألوان النقص الذي رميت به والعيوب التي ألصقت بها، ويحرص على أن تكون عاملا مزدوجاً، عامل تحرير فكري من نحو وعامل وحدة سياسية أيضاً من نحو آخر[11].

وها هو ذا التاريخ يعلمنا أنه ماوجدت أمة من الأمم إلا كانت لها لغتها الخاصة، وأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وإنيتها وذاتيتها لأن المحتل يحرص دائماً على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي صدى أسلافهم والقوة الطبيعية الحية لأمتهم، إذ إن اللغة المكتوبة هي الاسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الأحياء وتصل بالأموات ويكتب بها سجل الأمم[12].

2 ـ الجمع بين الأصالة والمعاصرة: ذلك أن العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة في العالم المتحضر، لقد عرفها وكتب بها العرب والمسلمون وغير المسلمين حتى إن طائفة كبيرة من هؤلاء العلماء قد تقفوها ووقفوا على أسرارها فأحبوها وهجروا لغاتهم فجعلوها لغتهم المفضلة وبها عرفوا لأنهم كتبوا بها[13].

وإذا ألقينا نظرة على التراث العلمي لأمتنا العربية الاسلامية فإننا نلاحظ غناه وتنوعه في مختلف الميادين، فها هو ذا الكندي يعد أول من وضع معجماً للمصطلحات العلمية، فقد وضع رسالة في حدود الأشياء ورسومها اشتملت على ثمانية وتسعين مصطلحاً فلسفياً جميعها من أصل عربي ما عدا مصطلحين اثنين فقط هما "فلسفة والاسطقس".

ووضع العالم العربي الرازي كتابه "الحاوي"، ويقع في ثلاثين جزءاً جمعت المعارف الطبية التي توصل إليها العقل البشري منذ أيام أبقراط، وظل هذا الكتاب المرجع الطبي الأساسي في أوروبا مدة تزيد على أربعمائة عام، كما كتب الرازي في الكيمياء، وهو أحد الأوائل الذين جعلوا الكيمياء علماً يمارس على طرائق علمية وعملية وتجريبية.

وكتب "ابن سينا" في عدة علوم، ففي مجال الطب وضع قواعد علم الجراحة والتشريح، ومهد السبيل للاكتشافات الطبية العظيمة التي حققها علم الطب الحديث، ووضع كتاب "القانون" في الصيدلة أورد فيه مايزيد على السبعمائة عقار.

وكان "البيروني" عالماً بالفلك وفيلسوفاً ورياضياً وجغرافياً، وكتابه في الفلك موسوعة تضمنت القوانين الطبيعية، ووضع كتاب الجواهر الخاص بالأوزان النوعية للمعادن والأحجار الثمينة، وعالج في كتابه الصيدلة أنواع الأدوية.

ويعد "ابن البيطار" من أعظم العباقرة في علم النبات حيث شرح في كتابيه "الأدوية المفردة" و "الأقربادين" حوالي ألف وأربعمائة نبات طبي مع ذكر أسمائها وطرق استعمالها.

ووضع أبو القاسم الزهراوي كتاب "رسالة التصريف لمن عجز عن التأليف" ويعدّ كتاباً مدرسياً للجراحة يشتمل على أشكال وصور لآلات طبية ساعدت على وضع أسس علم الجراحة في أوربا إذ كان مرجعاً لقرون عديدة.

ويعدّ جابر بن حيان من أوائل الأسماء التي مجدها الغرب، وترجم كتبه إلى اللاتينية وكتابه "التراكيب" من أوائل الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية، وظلت كتبه في الكيمياء المرجع الأساسي لأوروبا في القرون الوسطى، واستمر أثرها حتى القرن الثامن عشر.

كما يعدّ الحسن بن الهيثم من أعظم علماء الطبيعيات، ويأتي على رأس قائمة علماء البصريات وقد ترجم كتابه "المناظير" خمس مرات إلى اللاتينية، ونقل كثير من علماء أوروبا فن البصريات وعلم الضوء من مؤلفاته.

ووضع "الخوارزمي" كتابين هامين في الرياضيات حمل الأوّل منهما حساب الجبر والمقابلة لتصبح كلمة الجبر كلمة عالمية، والكتاب الثاني في علم المحاسبة شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة وحساب الكسور. وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية، واستعاض الأوروبيون بالأرقام الرومانية المعقدة الأرقام العربية البسيطة. والصفر يعدّ من الاكتشافات الهامة التي أشار إليها الخوارزمي، وعن طريقه استطاعوا بناء الأرقام[14].

تلك هي اشارات عابرة فقط تدل على مساهمات العلماء العرب والمسلمين في المجالات العلمية تأليفاً وتعريباً، ومازالت دور الكتب في العالم تزخر بالوثائق والمخطوطات العربية التي تكشف كل يوم عن خباياها وتضيف جديداً لاسهامات العرب والمسلمين في بناء الحضارة الانسانية. وعندما يتعرف الدارس ما أسهمت به أمته في اغناء الحضارة الانسانية وخاصة في الميادين العلمية يدفعه ذلك إلى وصل الحاضر بالماضي والاستمرارية في اعلاء صرح تلك الحضارة بحثاً وانتاجاً وابداعاً.

وإذا كنا اليوم نروم استنبات العلم عربياً والتعبير عن العلم بالعربية فما ذلك إلا لاستمرار مسيرة امتنا العربية وربط لماضيها المجيد بحاضرها الذي نوده مشرقاً وبنّاء وفعّالا في مسيرة الحضارة البشرية.

3 ـ تعزيز وشائج الربط بين الجامعة والمجتمع: إذ ان علينا أن نحكم الصلة بين مانعلمه لأبنائنا وما نعدهم من أجله، وأن على القيادات الجامعية أن تجعل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي العربي مصانع لتخريج الرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم، وتركزت دعائم انتمائهم إلى امتهم، ولن يتحقق ذلك بابعاد اللغة القومية، وإنه لتناقض عجيب أن نعلم طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتنا، ونتحدث لهم عن مزاياها وسعة تراثها ثم نباعد بينهم وبينها فنعزلها عنهم ونعزلهم عنها مثبتين لهم عملياً أنها لغة قاصرة وعاجزة، ولا تصلح للتعليم عندما ندرس باللغات الأجنبية ولا ندرس بها.

4 ـ توحيد الثقافة والمجهود العلمي والفكري في الوطن العربي: إذ إن عدداً من أعضاء الهيئة التدريسية تخرجوا في جامعات فرنسية أو ألمانية أو روسية أو غيرها، فهل يترك لكلّ طائفة لغة تختص بها فلا يكون بين علماء الأمّة الواحدة جامعة تضمّ أفكارهم وتجمع انتاجهم، اننا ان لم ندرس بالعربية نبدد جهود علمائنا فلا يفيد بعضهم من بعض، ولا يطلع بعضهم على مايؤلف بعضهم الآخر إلا إذا كانت بينهم لغة مشتركة واحدة يصبون أفكارهم في قوالبها ويصوغون علومهم بها. ومن هنا كانت الدعوة إلى التدريس بالعربية دعوة إلى توحيد الثقافة وتركيز المجهود العلمي والفكري في الوطن العربي.

5 ـ مساعدة الدارسين على الفهم والاستيعاب: ذلك أن التدريس باللغة العربية يسهل كثيراً التحصيل العلمي والاكتساب التربوي ما دام باللغة الأم، ويجعل من عملية التدريس عملية ممتعة للطالب والمدرس فيشارك الطلاب أستاذهم بفهم المسموع وسرعة التدوين، مما يوفر الكثير من الوقت للطرفين، اضافة إلى أن الطالب لايتهيب المادة كما هي عليه الحال باللغة الانجليزية، إذ إن من مقاييس التهيب للطالب مقدرته الذهنية واستعداده النفسي في فهم المادة

في حدّ ذاتها. وقد أثبتت بعض الأبحاث أن اللغة العربية تساعد الدارس على الفهم والاستيعاب بصورة أفضل.

فثمة دراسة أجريت في صفاقس بالجمهورية التونسية شملت أساتذة التعليم الثانوي المختصين بالعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية والرياضيات والمواد التقنية، كما شملت عينات من التلامذة في المدينة وفي الريف ومن الفتيات والفتيان، إضافة إلى شمولها المحيط الذي يتعامل معه في التعليم أي المؤسسات والادارات بمختلف أنواعها. وتوصلت الدراسة إلى أن 94 ٪ من الاساتذة يميلون إلى تدريس العلوم بالعربية فوراً، أو بعد فترة تدريب لا تزيد عند أغلبهم على عامين، كما أوضحت أن التلاميذ الذين يتعلمون بالفرنسية من سن 12 و 19 سنة لايحفظون مما تعلموه في نهاية كل سنة إلا بنسبة 22 ٪. وأن 84 ٪ من هؤلاء يرغبون في تفسير ما تعلموه بالعربية لا بالفرنسية التي تعلموه بها. وعندما سئل الطلاب عن شرح بعض المفردات العلمية أو المصطلحات "ووجه إليهم السؤال بالفرنسية"، أجابوا عنه بالعربية وقد أعطي لهم الخيار في الاجابة باحدى اللغتين[15].

وفي صفاقس نفسها تمّ تقويم خطة تعريب علم التشريح عبر سبر آراء طلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس، وقد طبقت التجربة بعد توزيع استبانة على الطلبة سئلوا فيها عن فهم المصطلحات ومجال فهمهم للمواد الأخرى والمستوى العلمي واللغوي. وتبين أن الطلبة أصبحوا يفهمون المفردات دون الاستعانة بقواميس أو مراجع، وأن مستوى تعليم علم التشريح تحسّن قياسا لما كان عليه المستوى بالفرنسية[16].

وفي دروس الطب النفسي بالجمهورية التونسية يذكر الدكتور سليم عمار أن الطلبة كانوا يتجاوبون بصة تلقائية مع الأمثلة المحسوسة التي كانت تقدم لهم باللهجة التونسية المهذبة تارة وتارة أخرى بلغة عربية سهلة المنال، فكان الطلبة يفهمون دروس الطب النفسي بكلّ وضوح، بينما كانوا يجدون صعوبة في فهم المعاني والمصطلحات الفرنسية المعقدة التي كانت تقدم لهم في صلب المادة الدقيقة المتشعبة في نظرياتها وكلماتها ومعانيها. وقد أجمع المستمعون على أن

الدرس العربي كان سهل المنال بفضل التذكير بالمصطلحات الفرنسية المقابلة للمصطلحات العربية والتي كثيراً ما كانت واضحة المفاهيم بالرغم من أنها تقدم للطلبة لأول مرة.

وقد نسج على هذا المنوال بعض الأساتذة الذين ألقوا دروساً في جراحة الأعصاب وطب العيون باللغة العربية دون استخدام اللغة الفرنسية، وكان التقبل ايجابياً[17].

وفي دراسة علمية أجريت في كلية العلوم بجامعة الكويت تبين أن استخدام اللغة الانجليزية وسيلة اتصال تعليمية يسبب مشكلة لدى عدد كبير من الطلبة إذ أشار حوالي 83 ٪ من عينة أعضاء هيئة التدريس العرب في كلية العلوم و 84 ٪ من عينة طلبة كلية العلوم، و 98 ٪ من عينة طلبة كلية التربية إلى أن الطلبة المستجدين يواجهون صعوبة في استيعاب المفاهيم التي تدرس لهم باللغة الانجليزية.

وقد دعم هذه الاراء ماذكره أعضاء هيئة التدريس غير العرب من أن طلبة العلوم بصورة عامة يعانون من مشكلات لغوية لا تمكنهم من فهم المحاضرات التي تقدم لهم باللغة الانجليزية، إذ إن لديهم مشكلات في الكتابة والتفاعل الشفهي، ويفتقرون إلى المصطلحات العلمية والقدرة على تلخيص ما يدور في المحاضرة لأنهم يفكرون بالعربية[18].

ومن هنا كانت التوصيات المنبثقة عن هذه الدراسات كافة تدعو إلى اعتماد اللغة العربية لغة تدريس في الجامعات. والدعوة إلى استخدام اللغة القومية في التدريس الجامعي ليست بدعا في العالم، ولا هي أمر عجيب بل العكس فيها هو الأمر العجيب، إذ ليست هناك دولة في العالم إلا اتخذت من لغتها القومية لغة للتعليم العالي في جامعاتها، بل حتى في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً تدرس كل جمهورية بلغتها المحلية في جامعاتها حرصاً منها على أن يطلع كل مواطن مثقف على ميادين العلم والمعرفة باللغة التي يتقنها، وكان قادة الاتحاد السوفيتي سابقاً قادرين على فرض اللغة الروسية الواحدة في جميع الجمهوريات، ولكنهم أدركوا الألفة بين اللغة التي يتقنها الطالب والعلوم التي يجب عليه الالمام بها، كما أدركوا الضرر الذي سيعود على العلم والثقافة لو أبعدوا اللغات المحلية عن التعليم العالي.

6 ـ **تحقيق ديمقراطية التعليم**، إذ ما معنى ديمقراطية التعليم إذا لم يكن هذا التعليم باللغة التي يفهمها معظم أبناء الأمّة، ان ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية شعار لامضمون له وصورة لا واقع لها، وديمقراطية التعليم وكونه باللغة القومية طرفان متلازمان لابد أن يؤدي أحدهما بالحتمية إلى الآخر، وما اصرار بعض الجامعيين على استخدام لغة لايتقنها غيرهم إلا تعبير عن شعور بالتمييز والطبقية، وترفع عن المجتمعات التي أنشئت مؤسساتهم لخدمتها.

7 **استمرارية تعليم اللغات الأجنبية**: ان الداعين إلى التدريس باللغة القومية يدعون في الوقت نفسه إلى الاستمرارية في تعليم اللغات الأجنبية، ذلك لأن اتقان لغة أجنبية واجب لابد منه لمتابعة التقدم العلمي، ولكن شتان ما بين اتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلاً عن اللغة القومية. إن في اتقان اللغة الأجنبية دعماً للثقافة ورمزاً لها في كل ميدان من ميادين العلم، وأما استخدامها بديلاً فعزل للغة القومية ووأد لها.

8 ـ **الافادة من تجارب المجتمعات الأخرى**: أدرك فلاسفة الغرب ومفكروه وساسته أهمية اللغة في البنيان القومي، فها هو ذا "هردر" الألماني يقول: "إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد"[19].

وعندما سئل "بسمارك" عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: إن المستعمرات الالمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الانجليزية لغة رسمية لها "وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الانجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الألمانية بدلا من الانجليزية كي يضمن ولاءها لالمانيا، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك، ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لانجلترا على الرغم من كل خلاف بين أمريكا وانجلترا. ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين، إذ إن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي[20].

واعتمدت الثورة الفرنسية اللغة الرسمية الفصيحة انطلاقاً من أنه لاحرية حقيقية من رواسب الاقطاع ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية ومعرفتها، والقائد الفيتنامي "هوشي مينه" يرى أنه لاانتصار على العدو إلا بالعودة إلى اللغة والثقافة القومية[21].

وها هي ذي اسرائيل تقيم كيانها على احياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانية والنمسا وروسيا وبولونيا وأروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عمليا منذ ألفي سنة ألا وهي العبرية، وشتان بين اللغتين العبرية والعربية في مسيرة الحضارة الانسانية[22].

وها هي ذي فنلندة تدرس الطب باللغة الفنلندية على حين تدرسه في أغلب جامعاتنا بالانجليزية وأين الفنلندية من العربية. وهل لها الرصيد الثقافي الحضاري العربي العريق؟ وهل لها ماللعربية من تراث طبي مجيد؟ نحن الذين علموا الطليان الطب في عصر النهضة وها هم أولاء يدرسون الطب بلغتهم الطليانية، وأساتذتهم العرب يدرسونه بلغة أجنبية[23].

ب ـ المعارضون:

يتجه المعترضون على التعريب إلى تقديم الحجج التالية:

1 ـ ان لغة العلم في عصرنا الحالي انما هي اللغة الانجليزية، و (98 ٪) من المراجع والمصادر العلمية هي باللغة الانجليزية، وإذا لم نعلم الطلبة هذه اللغة فكأننا نمنعهم من الاطلاع على هذه المصادر والمراجع ونغلق عليهم نافذة العلم، ونحول دون أن ينمو تحصيلهم لدرجات عليا في الجامعات الخارجية لو أرادوا ذلك، فضلا عن ان استعمال اللغة الانجليزية في تدريس العلوم يعدّ أسرع وسيلة للسيطرة على هذه اللغة[24].

2 ـ ضآلة توافر الكتب والمراجع باللغة العربية وركاكة الاسلوب وسوء الاخراج.

3 ـ قلّة الاساتذة المعدين للتدريس بالعربية.

4 ـ غرابة بعض المصطلحات العربية التي أصدرتها بعض المجامع اللغوية، ووفرتها واستعمال أكثر من مصطلح تبعاً لما يصدر عن كل مجمع لغوي أو جامعة أو مركز بحث،

وصعوبة فهم بعض المصطلحات العربية وشيوع المصطلحات الأجنبية التي أصبح بعضها متداولا حتى بين عامة الناس[25].

ويرى آخرون ان في كل علم عددا كبيراً من المصطلحات، وان أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن وقد لايكون له مقابل في اللغة العربية.

5 ـ النظر إلى التعريب على أنه شعار بلا مضمون.

6 ـ وجود مشكلة الرموز العلمية والأحرف والأرقام.

7 ـ وجود مشكلة النشر والتوزيع.

وفي دراسة ميدانية قام بها الدكتور سيد حامد حريز في جامعة الخرطوم عام 1983 وجد أن نسبة عالية من أساتذة جامعة الخرطوم لاترى ضرورة للتعريب، وأن اللغة العربية الفصيحة بنحوها وصرفها قد اكتسبت صورة منفرة في أذهان الصفوة من المتعلمين السودانيين لاسيما الذين نالوا تعليما أوروبيا، وأن عدداً كبيراً من اساتذة جامعة الخرطوم تجيد اللغة الانجليزية، وتعترف بعدم اجادتها اللغة العربية، وأنهم يذكرون بشيء من الحسرة أن تعريب المناهج في المراحل الثانوية صحبه انخفاض في مستوى اللغة الانجليزية، وأن الكتب والمراجع باللغة العربية غير متوافرة[26].

ج ـ الردّ على المعارضين:

الحجة الأولى: إن التعليم بالعربية يحرم الطالب المتخرج من متابعة الركب العلمي المتطوّر بسرعة.

الردّ:

ان علاج ذلك سهل وميسور ويتجلى في تقوية اللغة الأجنبية بحيث يتقنها الطالب أو يلم بها إلماماً كافياً يسمح له بالمتابعة فيما بعد، والدليل ان طلاب كلية الطب بجامعة دمشق الذين يدرسون الطب بالعربية عندما يتقدّمون إلى الفحص الأمريكي اللغوي الطبي، تفضل نتائج

امتحاناتهم في مرات كثيرة نتائج زملائهم الذين درسوا الطب باللغة الإنجليزية، ولم يحل تعليمهم الطب بلغتهم العربية من اجتياز امتحانات اللغة الطبية الإنجليزية بنجاح.

الحجة الثانية: ان في كل علم عدداً كبيرا من المصطلحات، وان أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن، وقد لايكون له مقابل في لغتنا بسبب عجز اللغة العربية

الردّ:

ان استخدام اللغة العربية في التعليم أمر، واستعمال المصطلحات أمر آخر، إننا ندعو أن نكتب عن العلم بالعربية ونلقي دروسنا بالعربية، وتبقى المصلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تعرب أو تحلّ مشكلتها، ليكتب المؤلفون المحاضرون الفيتامين والهرمون والكولسترول، وكل مصطلحات العلوم غير المعربة بأسمائها الأجنبية، ولكن ليتكلموا عنها وليتحدثوا باللغة العربية، إننا نطالب باستعمال اللغة القومية لأن اللغة كيان فكري ونفسي رائع، وأما المصطلحات فألفاظ أو قوالب لفظية تدل على معان معينة[27].

ثم كيف نوفق بين ادعاء عجز اللغة العربية عن استيعاب المصطلحات الطبية كما يدّعي بعضهم وبين واقع الأمر وحقيقته وهو شمول اللغة العربية لكل مصطلحات الطب وغيره، كما ينطق به الواقع السوري في كلية طب دمشق، والتي كانت من أوائل الجامعات التي بدأت في التعريب، وكان لها الفضل في نشر التعريب الطبي وغيره حيث سادت لغة الضاد في مدرجات هذه الجامعة تدريساً وامتحاناً[28].

الحجة الثالثة: قلّة المراجع والكتب

الردّ:

ان هناك عددا من الجامعات في الوطن العربي تدرس الطب والهندسة والعلوم وغيرها باللغة العربية، وفي هذه الجامعات كتب ومراجع أمهات في مجالات الاختصاص، كما أن هناك العديد من المعاجم والمصطلحات التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما أن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة أيضاً يصدر كتباً مترجمة في المجالات العلمية.

الحجة الرابعة: التعريب شعار بلا مضمون

الردّ:

ليس التعريب شعاراً بلا مضمون، ولكنه ضرورة قومية وحضارية لابد منها وهو موقف نفسي أولاً يدعو إلى التميّز الإنساني وتقوية الانتماء إلى هذه الأمّة، وها هو ذا المسؤول عن التعليم الطبي في منظمة الصحة العالمية يستنكر ظاهرة في التعليم الجامعي في البلاد العربية ولا يستطيع أن يستسيغ هذه الظاهرة، وهي أنه ليس فيها إلا جامعة واحدة تدرس الطب بالعربية، وهو يرى أن التعليم بغير العربية ظاهرة تخلف ليس لها أي مبرر، وتتنافى مع مقررات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى التعليم الطبي باللغة القومية[29].

الحجة الخامسة: اللغة الإنجليزية هي لغة العلم ولابدّ من تعليم الطب بها

الردّ:

ليست اللغة الإنجليزية وحدها لغة العلم، فهناك الفرنسية والروسية والألمانية واليابانية والاسبانية والصينية... والبلدان الأوروبية وغيرها تعلم طلبتها بلغاتها، وليس هناك شكوى من أن هؤلاء الطلاب ممنوعون من الاطلاع على المراجع، وأن نافذة العلم قد أغلقت دونهم، ويؤيد ذلك الأبحاث والمخترعات والمكتشفات التي ينجزها أبناء هذه الشعوب.

د ـ الداعون إلى التريث:

ثمة من يدعو إلى عدم الإسراع في التعريب، وأن التعريب يستلزم مدى زمنياً ولا يمكن أن يتمّ إلا بعد توفير مستلزماته، ونظراً لأن هذه المستلزمات غير متوافرة بصورة وافية كان التريث في التعريب أمراً تقتضيه الظروف الراهنة، إذ إن المراجع بين أيدي الطلبة غير متوافرة، كما أن الأساتذة المعدين اعداداً جيّداً للتدريس بالعربية غير متوافرين على النحو

المنشود، إضافة إلى أن تأهيلهم إنما هو بالانجليزية في الأعمّ والأغلب، يضاف إلى ذلك أن هناك معوقات فنية ومادية تستلزم التريث، ومن هذه المعوقات[30]:

ـ قلة الامكانات الفنية وضعفها " رسم، طباعة، تصوير...".

ـ قلة القواميس والمعاجم المتخصصة في مختلف المجالات.

ـ عدم وجود مصطلحات علمية متفق عليها.

ـ ضعف بعض أعضاء الهيئة التدريسية باللغة العربية مما يعوقهم في عملية الترجمة والتعريب.

ـ إثقال المدرسين بأعباء تدريسية وادارية كثيرة تستنفد طاقتهم، وتحدّ من تفرغهم للتعريب.

ـ عدم توفر المكان والجو الملائم داخل الجامعة للقيام بعملية التعريب.

ـ العجز في الاطر التدريسية وارتفاع نسبة الطلبة إلى المدرسين.

ـ عدم اطلاع التدريسيين على ما يجري في الأقطار العربية في مجال التعريب.

ـ فقدان خطة عربية قومية موحدة للتعريب والترجمة.

ـ ضعف الاقبال على العمل الجماعي المنظم في عملية التعريب.

ـ عقدة الخوف من المجهول حيث يظن الظانون أن التعليم بالعربية سيسيء إلى مستوى التعليم والبحث.

لهذه الأسباب مجتمعة يرى نفر من الأساتذة أن التريث في التعريب أمر تحكمه الظروف الموضوعية، وأن الاقدام عليه دون تهيئة مستلزماته قد يكون له آثار سلبية وانعكاسات خطرة على عملية التعريب نفسها.

رابعاً ـ مستلزمات التعريب:

تجدر الاشارة إلى أن الأهداف المرسومة للتعريب يستلزم تحقيقها أمور متعددة منها:

1 ـ القرار السياسي الملزم لاعتماد التعريب منهجاً في الحياة، وأن التسويف الذي سبقت الاشارة ليه لايمكن أن يحسمه إلا قرار سياسي تمده جذوة من الحماسة والايمان، وعندها فقط تذلل الصعوبات، ولنتخذ من تجارب الآخرين معلماً نستهدي به في مسيرتنا، فهاهي ذي جامعة الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كافة، وعندما أصدر " هوشي مينه" أمره بالفتمة الشاملة على الرغم من أن الفرنسية للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين سنة، طلب اساتذة كلية الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتمة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو امهال تطبيق الفتمة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات، ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً لهم: يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تجري الامتحانات وفي سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية"[31].

2 ـ إلى جانب القرار السياسي الملزم بالتعريب لابد من توافر فئة من المدرسين تؤمن بالتعريب، وتدعو إليه، وتدافع عنه، وترتب تنفيذه، ذلك لأن المدرس هو أساس عملية التعريب، ولابد من توافر القناعة لديه بالتعريب، وأن يكون مستعداً نفسياً له، وذا عزيمة لتذليل العقبات.

3 ـ الافادة من تجارب التعريب في بعض جامعات الوطن العربي "في سورية، الأردن مصر".

4 ـ انتداب أساتذة من الجامعات التي تنفذ التعريب وذلك للتدريس بالعربية والقاء محاضرات بها لفترات كافية، على أن يفيد الأساتذة المحليون من تجاربهم.

5 ـ تشجيع الأساتذة على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم لمدّهم بمصطلحات علمية ومفردات تعينهم في اغناء لغتهم في مجالات تخصصهم[32].

6 ـ تشجيع الأساتذة على الكتابة والقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة.

7 ـ تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية.

8 ـ تنظيم دورات تدريبية مستمرّة لتأهيل أعضاء هيئة التدريس في أثناء خدمتهم.

9 ـ الطلب إلى الموفدين العائدين ترجمة رسائلهم إلى العربية واعتبار ذلك شرطاً لتعيينهم في عضوية الهيئة التدريسية كما هي عليه الحال في جامعات دمشق.

10 ـ العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والادارية عن أعضاء الهيئة التدريسية وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة.

11 ـ عدم الاقتصار في عملية التعريب على الكتب الدراسية المقررة في الجامعات على أنها أمهات الكتب، بل أن تشمل أيضاً امهات المجلات العلمية العالمية ليكون الطالب على اتصال دائم بتقدّم العلوم وتطوّرها على النحو الذي يفعله الإنجليز والألمان والفرنسيون والروس ... إلخ، واعطاء مستخلصات لآخر ما صدر عن الأمم الأخرى من بحوث.

12 ـ الاستمرار في تحقيق التراث العلمي العربي وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية ان في داخل الوطن العربي أو في خارجه كالمتحف البريطاني بلندن والمكتبة الأهلية بباريس والاسيكوريال في اسبانية... إلخ.

13 ـ تشجيع العناية بالترجمة الفورية التي تحتاج إلى تدريب ومران وسرعة خاطر والاطلاع على مادة الاختصاص مع رصيد كبير في اللغتين العربية والأجنبية[33].

14 ـ دعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وتخصيص الامكانات المادية الملائمة لمشروعاته وتخصيص جوائز للترجمة.

15 ـ تشجيع كتابة البحوث بالعربية.

16 ـ اصدار مجلات علمية متخصصة على مستوى عالمي تنشر بالعربية.

17 ـ اصدار كتب علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية.

18 - اصدار مجلات علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية.

19 - الاطلاع على تجارب نقل العلوم إلى اللغات القومية في مجتمعات لاتملك لغة مرنة وواسعة كالعربية واليابانية والكورية.

20 - الاهتمام بالدراسات العليا في الوطن العربي وتطويرها.

21 - العناية باللغة العربية في مراحل التعليم العام قبل الجامعي واستعمال اللغة العربية السليمة في مرافق المجتمع ووسائل الاعلام كافة.

22 - الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ينبغي له أن يتمّ بصورة متوازية مع تنفيذ التعريب.

23 - انشاء وحدة معلومات تختص بالدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي، تتصل بشبكة الوحدات الفرعية المماثلة في الجامعات ومراكز البحوث التربوية.

24 - توحيد المصطلحات في الجامعة الواحدة وبين الجامعات ومراكز البحث في الوطن العربي.

25 - توفير الاعتمادات المالية لتأمين المراجع والمعاجم غير المتوافرة باللغة العربية.

26 - وجوب التكامل بين سياسات التعريب على نطاق الوطن العربي حرصاً على الجهود المبذولة توحيدا للرؤية الفكرية.

خامساً - الخلاصة:

من يلق نظرة على واقع خريطة التعريب في الوطن العربي يجدْ أن ثمة جهوداً بذلت، بعضها فردي وبعضها جماعي، بعضها قامت به مؤسسات خاصة، وبعضها الآخر قامت به مؤسسات قومية، منها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات، ومن هذه الجهود ما تمّ في الوطن العربي، وجهود قامت بها هيئات أجنبية.

ان تنوع هذه الجهود يرسم أمام الإنسان بصورة عفوية خريطة زاخرة الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة تمثل تكامل الجهود وتقاطعها، تواصلها وانقطاعها، اقليميتها

وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرها واندفاعها حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها[34].

تلك هي الصورة التي رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل لعملية التعريب في الثمانينيات وما تزال هي هي، ولنستمع إليه يقول: "كنا نتحدث عن التعريب، عن اقراره أو انكاره، عن قبوله أو رفضه، ولكن الجهد الأقل كان منصباً على التعريب ذاته، وكنا نتحدث عن قدرة العربية وعبقريتها دون أن نستثمر على مقياس واسع هذه القدرة وهذه العبقرية، وأن الذي نلحظه في الحياة السياسية من التنوع الذي يقترب من التخالف والتكثر الذي يقترب من التكرار هو الذي نلحظه في هذا اللون من العمل الثقافي العربي.

لقد كانت المؤتمرات والندوات في كل قطر تبدأ عملها من الصفر، ولكنها غالباً لاتتابع بعد ذلك من حيث انتهى المؤتمر السابق.

وكان من النتائج المنطقية لهذا التنوع والتكثر أن تبدو الجهود مشتتة، وأن تكون نتائجها من الضآلة بحيث لايمكن أن تكون متكافئة أو موازية لما أعد لها وبذل من أجلها، وقاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة حتى أضحى طبيعياً أن يجهل بلد ما كان في بلد آخر، وألا تعرف جامعة مايكون قد نفذ في جامعة أخرى.

اننا في حاجة إلى أمرين

أحدهما منهجية واضحة في العمل تجمع كل ماكان أولا وتفيد منه وتضعه في مكانه من البناء الداخلي ليكون مشاركة في هذا البناء.

وثانيهما برنامج زمني يراعي التزامه التقيد به، حتى لا تبقى حكاية تعريب التعليم الجامعي حكاية طويلة من غير حدود.

وها هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الردّ العلمي الموضوعي على كل حملات التشكيك، إنها تجربة جديرة بكل تدبر، جديرة بدراسة ايجابيتها، وتعرف سلبياتها تعزيزاً للايجابيات وتلافياً للسلبيات في انطلاقتنا الجديدة[35].

وها هي ذي الأمم صغيرها وكبيرها من حولنا في العالم تحافظ على هويتها القومية، إذ تحت عنوان "إندونيسيا حريصة على لغتها" نقلت الأنباء أن الرئيس الإندونيسي "سوهارتو" ناشد شعبه يوم الخميس في الثالث عشر من جمادى الأولى عام 1414 هـ الموافق 28 اكتوبر 1993م بعدم الخلط بين اللغة الأمّ واللغات الأجنبية الأخرى في اطار التخاطب والتواصل اللغوي اليومي، ونقلت رويتر عن سوهارتو قوله في خطاب له بمناسبة يوم الشبيبة الأندونيسية أن الكثير من العبارات والكلمات الأجنبية أصبح يشكل تهديداً للغة الباهاما وهي اللغة الأصلية والرسمية للبلاد مشيراً إلى أن ذلك يشكل تهديداً للهوية الوطنية للشعب الأندونيسي، وأضاف أن التقدم في العلوم والتقانة "التكنولوجيا" يتطلب من الاندونيسيين اتقان لغات أجنبية ولكن ذلك يجب ألا يتم على حساب اللغة الأندونيسية الأمّ.

وحري بنا أن نعرف قدر أمتنا ومكانتها في مسيرة الحضارة الانسانية، فها هي ذي "زيغريد هونكة" تقول في كتابها النفيس "شمس الله تسطع على الغرب" ، "دب في الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر شعور غريب بالخجل من تقليده للطب العربي، وبقي قروناً طويلة من الزمن نسخة منسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوروبية الطبية في أول عصر الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليداً للعرب ونقلا منهم، وقبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم لاتحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي"[36].

ولنستمع إلى قول شاعر ايطاليا الكبير "بيترارك" في القرن الرابع عشر الميلادي يندد فيها ببني قومية، ويستنهض هممهم ويبث في أنفسهم العزيمة والثقة قائلاً: "ماذا؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديموستن، واستطاع فيرجيل أن يكون شاعراً بعد هوميروس، وبعد العرب لايسمح لاحد بالكتابة، لقد جارينا اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً، وبذلك جارينا وتجاوزنا غالبية الأمم، وتقولون: اننا لانستطيع الوصول إلى شأو العرب، ياللجنون ويا للخُبال، بل يا لعبقرية ايطاليا الغافية أو المنطفئة"![37].

ومن هنا كان علينا أن نتخذ من ماضي امتنا المجيد عامل حفز إلى الأمام، إذ إن التريث في حسم موضوع كياني لأمتنا يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها أمر يستلزم استنفار الجهود والايمان ولاقدام، إذ لامسوّغ للتريث، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته: "فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة، فأجابهم: تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الاسلحة. السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب".

هوامش البحث

1 ـ معجم لسان العرب لابن منظور، الجزء الرابع، دار المعارف، ص 2865.

2 ـ الدكتور محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس 1982 ، ص 87.

3 ـ المرجع السابق.

4 ـ المرجع السابق، ص 88.

5 ـ الدكتور محي الدين صابر، اللغة العربية مستودع الفكر العربي، منشور في تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس 1987 ، ص 11.

6 ـ الدكتور كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت، 1967، ص 311.

7 ـ المرجع السابق، ص6.

8 ـ الدكتور محي الدين صابر، دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية، المجلة العربية للتربية، المجلد الثاني، العدد الثاني سبتمبر 1982، ص 52.

9 ـ عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1988، ص 214.

10 ـ المرجع السابق، ص28.

11 ـ الدكتور شكري فيصل، المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف: "عرض ودراسة"، 1982.

12 ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، انية وأصالة، مطبة البعث بـالجزائر، وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، 1975، ص68.

13 ـ الدكتور إبراهيم السامرائي، في التعريب بين ماضيه وحاضره، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 29 عام 1978، ص94.

14 ـ قاسم عثمان نور، التعريب في الوطن العربي، جامعة الخرطوم، 1988، ص 13 و 14.

15 ـ أحمد الزغل، تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس 1987، ص06.

16 ـ الدكتور أحمد دياب، تعميم خطة تعريب علم التشريح عبر سبر آراء طلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس، تجربة ميدانية، 1988.

17 ـ الدكتور سليم عمار، تعريب الطب النفسي، العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، 1987، ص44.

18 ـ الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع والدكتور مصباح الحاج عيسى، أثر استخدام اللغة الانجليزية وسيلة اتصال تعليمية على التعليم الاكاديمي لكلية العلوم بجامعة الكويت، مجلّة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، 1986، ص155.

19 ـ أبو خلدون ساطع الحصري، ماهي القومية؟، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1963، ص4.

20 ـ الدكتورة محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر لبنان، 1989، الطبعة الأولى ص9.

21 ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، انية وأصالة، مرجع سابق، ص 76.

22 ـ المرجع السابق، ص74.

23 ـ الدكتور صفاء خلوصي، تعريب الجامعات، إحياء لكيان أكاديمي عربي أصيل، مطبعة جامعة دمشق، 1982، ص4.

24 ـ الدكتور عبد المجيد نصير، تعريب التعليم الجامعي "العلوم الطبيعية" أفكار ومقترحات، جامعة اليرموك، مطبعة جامعة دمشق 1982، ص4.

25 ـ المرجع السابق، ص5.

26 ـ الدكتور سيد حامد حريز، تعريب التعليم الجامعي في السودان، المجلّة العربية للدراسات اللغوية، العدد الأوّل المجلد الثاني 1983، ص37.

27 ـ الدكتور مدني الخيمي، التعليم العالي بالعربية في لبنان، مؤتمر التعريب بدمشق 1982، ص4.

28 ـ الدكتور أحمد محمد الحصري، مسؤولية عضو هيئة التدريس والناشر عن جمود التعريب في الوطن العربي، مطبعة جامعة دمشق، 1982 ص 10.

29 ـ الدكتور مدني الخيمي، التعليم العالي بالعربية في لبنان، مرجع سابق، ص5.

30 ـ الدكتور حسين محمد رزق والدكتور حاتم عبيد جعفر، معوقات تعريب التعليم العالي من وجهة نظر تدريس الجامعة التكنولوجية في العراق، مؤتمر التعريب في دمشق، عام 1982.

31 ـ عثمان السعدي، العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الاسرائيلي، جامعة الكويت، كلية التربية قسم أصول التربية، قسم أصول التربية، ص6.

32 ـ الدكتور سلطان الشاوي، تعريب التعليم العالي وسياسة الالتحاق به، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1984 ، ص97.

33 ـ الدكتور صفاء خلوصي، تعريب الجامعات احياء لكيان أكاديمي عربي أصيل، مرجع سابق، ص5.

34 - الدكتور شكري فيصل، المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف، مرجع سابق، ص50.

35 - المرجع السابق.

36 - نقلا عن الدكتور محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، مرجع سابق ص 47.

37 - المرجع السابق، ص46.